بسم الله الرحمن الرحيم

٩٥ — سورة التين

مكية ، ويقال : مدنية . وأيد الأول بقوله (وَهَـٰذَا ٱلْبَلَدِ) وآيها ثمان . روى عن البراء بن عازب[٢] أن النبيّ ﷺ كان يقرأ فى سفره فى إحدى الركعتين بالتين والزيتون . فما سمعت أحداً أحسن صوتاً أو قراءة منه . أخرجه الجماعة .

(١) أخرجه البخاريّ فى : ٩٧ ـ كتاب التوحيد ، ٥٢ ـ باب قول النبيّ ﷺ « الماهر بالقرآن مع السكرام البررة ، وزينوا القرآن بأصواتكم » ، حديث رقم ٤٦٧ .

بسم الله الرحمن الرحيم

القول فى تأويل قوله تعالى :

[١] (وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ)

[٢] (وَطُورِ سِينِينَ)

[٣] (وَهَـٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ)

اعلم أن المفسرين لم يختلفوا فى أن البلد الأمين مكة المشرفة ، الآمن أهلها أن يحاربوا . كما قال تعالى[١] (أَوَ لَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَماً ءَامِناً وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ) وأما المقسمات بها قَبْلُ ، ففيها أقوال للسلف لاحتمال موادها لكل منها . فعن مجاهد والحسن وغيرهما أن (التين) الذى يؤكل و (الزيتون) الذى يعصر . قالوا : وخصهما لكثرة فوائدهما وعظم منافعهما . وعن قتادة (التين) الجبل الذى عليه دمشق و(الزيتون) الذى عليه بيت المقدس . وعن كعب وابن زيد : (التين) مسجد دمشق و(الزيتون) بيت المقدس وعن ابن عباس: (التين) مسجد نوح الذى بنى على الجودىّ و (الزيتون) بيت المقدس . فظهر أنهما الشجران المعلومان أو جبلان أو مسجدان . وصوب ابن جرير الأول منها ، وعبارته[٢] : والصواب من القول فى ذلك عندنا ، قول من قال (التّين) هو التين الذى يؤكل و(ٱلزَّيْتُونِ) هو الزيتون الذى يعصر منه الزيت . لأن ذلك هو المعروف عند العرب . ولا يعرف جبل يسمى تيناً ولا جبل يقال له زيتون ، إلا أن يقول قائل : أقسم ربنا جل ثناؤه بالتين والزيتون ، والمراد من الكلام ، القسم بمنابت التين ومنابت الزيتون ، فيكون ذلك مذهبا وإن لم يكن على صحة ذلك أنه كذلك ، دلالة فى ظاهر التنزيل ولا من قول من لا يجوز خلافه ، لأن دمشق بها منابت

(١) [٢٩ / العنكبوت / ٦٧] .

(٢) انظر الصفحة رقم ٢٤٠ من الجزء الثلاثين (طبعة الحلبى الثانية) .

التين ، وبيت المقدس منابت الزيتون. انتهى كلامه . وفيه نظر، لأن من حفظ حجة على من لم يحفظ . كيف وجبل الزيتون هو من جبال فلسطين ، معروف ذلك عند علماء أهل الكتاب والمؤلفين فى تقويم البلاد .

قال صاحب (الذخيرة) فى تعداد جبال فلسطين : ويتصل بجبال إسرائيل جبل الزيتون. قال: وقد دعى كذلك لكثرة الزيتون فيه، وهو قريب المسافة من أورشليم، وفيه صعد المسيح لكى يرتفع إلى السماء . انتهى .

ويسمى أيضا طور زيتا إلى الآن . على أن فيما صوبه ابن جرير، تبقى المناسبة بينهما وبين طور سينين والبلد الأمين وحكمة جمعهما معهما فى نسق واحد ـ غير مفهومة. كما قاله الإمام. فالأرجح أنهما موضعان أو موضع واحد معظم ، ويكون المقسم به ثلاثة مواضع مقدسة .

قال ابن كثير: وقال بعض الأئمة: هذه محال ثلاثة بعث الله من كل واحد منها نبيًّا مرسلا من أولى العزم أصحاب الشرائع الكبار . فالأول محل التين والزيتون وهو بيت المقدس الذى بعث الله فيه عيسى ابن مريم عليهما السلام .

والثانى : طور سينين ، وهو طور سيناء الذى كلم الله عليه موسى بن عمران .

والثالث: مكة وهو البلد الأمين الذى من دخله كان آمنًا، وهو الذى أرسل فيه محمد ﷺ .

وفى التوراة ذكر هذه الأماكن الثلاثة : جاء الله من طور سيناء : يعنى الذى كلم الله عليه موسى . وأشرق من ساعير : يعنى جبل بيت المقدس الذى بعث الله عنه عيسى . واستعلن من جبال فاران : يعنى جبال مكة التى أرسل الله منها محمدا ﷺ . فذكرهم مخبراً عنهم على الترتيب الوجودى بحسب ترتيبهم فى الزمان . ولهذا أقسم بالأشرف ، ثم الأشرف منه ، ثم بالأشرف منهما. انتهى كلام ابن كثير .

ومراده ببعض الأئمة، شيخ الإسلام الإمام ابن تيمية عليه الرحمة والرضوان. فإنه ذكر ذلك فى كتابه (الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح) ونحن ننقلها زيادة فى إيضاح المقام، واهتماماً بتحقيقه.

قال رحمه الله (فصل شهادة الكتب المتقدمة بنبوته ﷺ) : وذلك مثل قوله فى التوراة ماقد ترجم بالعربية : جاء الله من طور سيناء . وبعضهم يقول فى الترجمة : تجلى الله من طور سيناء وأشرق من ساعير واستعلن من جبال فاران . قال كثير من العلماء (واللفظ لأبى محمد بن قتيبة) : ليس بهذا خفاء على من تدبره . ولا غموض . لأن مجىء الله من طور سيناء ، إنزاله التوراة على موسى بطور سيناء . كالذى هو عنـــد أهل الكتاب وعندنا . وكذلك يجب أن يكون إشراقه من ساعير ، إنزاله على المسيح الإنجيل . وكان المسيح من ساعير أرض الجليل بقرية تدعى ناصرة ، وباسمها تسمى من اتبعه نصارى . وكما وجب أن يكون إشراقه من ساعير بالمسيح، فكذلك يجب أن يكون استعلانه من جبال فاران، إنزاله القرآن على محمد ﷺ فى جبال فاران . وهى جبال مكة .

قال : وليس بين المسلمين وأهل الكتاب خلاف فى أن فاران هى مكة . فإن ادعوا أنها غير مكة ـ وليس ينكر ذلك من تحريفهم وإفكهم ـ قلنا أليس فى التوراة أن إبراهيم أسكن هاجر وإسماعيل فاران ؟ وقلنا دلونا على الموضع الذى استعلن الله منه واسمه فاران ، والنبىّ الذى أنزل عليه كتاباً بعد المسيح . أو ليس استعلن وعلن بمعنى واحد وهما : ظهر وانكشف . فهل تعلمون ديناً ظهر ظهور الإســـلام وفشا فى مشارق الأرض ومغاربها فشوّه ؟؟

وقال أبو هاشم بن طفر : ساعير جبل بالشام ، منه ظهرت نبوة المسيح عليه السلام . قلت : وبجانب بيت لحم ـ القرية التى ولد فيها المسيح ـ قرية تسمى إلى اليوم ساعير . ولها جبال تسمى جبال ساعير ، وعلى هذا فيكون ذكر الثلاثة الجبال : جبل حراء الذى ليس حول مكة جبل أعلى منه ، وفيه كان أول نزول الوحى على النبىّ ﷺ ، وحوله من الجبال جبال كثيرة. وذلك المكان يسمى فاران إلى هذا اليوم . وفيه كان ابتداء نزول القرآن. والبرية التى بين مكة وطور سينا تسمى برية فاران . ولا يمكن أحدا أن يدعى أنه بعد المسيح، نزل كتاب

فى شىء من تلك الأرض ، ولا بعث نبىّ . فعلم أن ليس المراد باستعلانه من جبال فاران، إلا إرسال محمد ﷺ . وهو سبحانه ذكر هـذا فى التوراة على الترتيب الزمانىّ . فذكر إنزال التوراة ثم الإنجيل ثم القرآن . وهذه الكتب نور الله وهداه .

وقال فى الأول : جاء أو ظهر . وفى الثانى : أشرق . وفى الثالث : استعلن. وكان مجئ التوراة مثل طلوع الفجر أو ماهو أظهر من ذلك . ونزول الإنجيل مثل إشراق الشمس زاد به النور والهدى. وأما نزول القرآن فهو بمنزلة ظهور الشمس فى السماء. ولهذا قال: واستعلن من جبال فاران . فإن محمدا ﷺ ظهر به نور الله وهداه فى شرق الأرض وغربها، أعظم مما ظهر بالكتابين المتقدمين، كما يظهر نور الشمس إذا استعلنت فى مشارق الأرض ومغاربها. ولهذا سماه الله سراجاً منيراً . وسمى الشمس سراجاً وهاجاً . والخلق محتاجون إلى السراج المنير ، أعظم من حاجتهم إلى السراج الوهاج. فإن الوهاج يحتاجون إليه فى وقت دون وقت. بل قد يتضررون به بعض الأوقات . وأما السراج المنير فيحتاجون إليه فى كل وقت، وكل مكان ، ليلًا ونهاراً ، سرًّا وعلانية . وقد قال ﷺ[1] : زُوِيَتْ لى الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها . وسيبلغ ملك أمتى مازوى لى منها . وهذه الأماكن الثلاثة ، أقسم الله بها فى القرآن فى قوله (وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ * وَطُورِ سِينِينَ * وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ) فأقسم بالتين والزيتون ، وهو الأرض المقدسة التى ينبت فيها ذلك ، ومنها بعث المسيح وأنزل عليه فيها الإنجيل . وأقسم بطور سيناء وهو الجبل الذى كلم الله موسى وناداه فيه، من واديه الأيمن، فى البقعة المباركة من الشجرة ـ وأقسم بهـذا البلد الأمين وهو مكة الذى أسكن إبراهيم ابنه إسماعيل ، وأمه هاجر فيه. وهو الذى[2] جعله الله حرماً آمناً ويتخطف الناس من حوله. وجعله آمناً خلقاً وأمراً ، قدراً وشرعاً .

---

(١) أخرجه مسلم فى : ٥٢ ـ كتاب الفتن وأشراط الساعة، حديث رقم ١٩ (طبعتنا) عن ثوبان .

(٢) يشير إلى الآية الكريمة رقم ٦٧ من سورة العنكبوت .

ثم قال (ابن تيمية) : فقوله تعالى (وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ * وَطُورِ سِينِينَ* وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ) إقسام منه بالأمكنة الشريفة المعظمة الثلاثة . التى ظهر فيها نوره وهداه ، وأنزل فيها كتبه الثلاثة : التوراة والإنجيل والقرآن . كما ذكر الثلاثة فى التوراة بقوله : جاء الله من طور سيناء ، وأشرق من ساعير ، واستعلن من جبال فاران .

ولما كان مافى التوراة خبرا عنها ، أخبر بها على ترتيبها الزمانى ، فقدم الأسبق فالأسبق. وأما فى القرآن ، فإنه أقسم بها تعظيما لشأنها . وذلك تعظيم لقدرته سبحانه وآياته وكتبه ورسله . فأقسم بها على وجه التدريج درجة بعد درجة . ختمها بأعلى الدرجات . فأقسم أولا بالتين والزيتون، ثم بطور سينين ، ثم بمكة . لأن أشرف الكتب الثلاثة القرآن ثم التوراة ثم الإنجيل . وكذلك الأنبياء، فأقسم بها على وجه التدريج كما فى قوله[1] (وَٱلذَّٰرِيَٰتِ ذَرْوًا* فَٱلْحَٰمِلَٰتِ وِقْرًا* فَٱلْجَٰرِيَٰتِ يُسْرًا* فَٱلْمُقَسِّمَٰتِ أَمْرًا) فأقسم بطبقات المخلوقات طبقة بعد طبقة. فأقسم بالرياح الذاريات ثم بالسحاب الحاملات للمطر فإنها فوق الرياح، ثم بالجاريات يسراً ، وقد قيل إنها السفن، ولكن الأنسب أن تكون هى الكواكب المذكورة فى قوله[2] (فَلَآ أُقْسِمُ بِٱلْخُنَّسِ * ٱلْجَوَارِ ٱلْكُنَّسِ) فسماها جوارى كما سمى الفلك جوارى فى قوله[3] (وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلْجَوَارِ فِى ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَٰمِ) والكواكب فوق السحاب ثم قال[4] (فَٱلْمُقَسِّمَٰتِ أَمْرًا) وهى الملائكة التى هى أعلى درجة من هذا كله .

واستظهر بعض المعاصرين أن قوله تعالى (وَٱلتِّينِ) يعنى به شجرة (بوذا) مؤسس الديانة البوذية ، التى تحرفت كثيراً عن أصلها الحقيقى . لأن تعاليم بوذا لم تكتب فى زمنه. وإنما رويت كالأحاديث بالروايات الشفهية . ثم كتبت بعد ذلك حينما ارتقى أتباعها .

ثم قال : والراجح عندنا ، بل المحقق إذا صح تفسيرنا لهذه الآية ، أنه كان نبيًّا صادقاً

(١) [٥١ / الذاريات / ١ـ٤] .
(٢) [٨١ / التكوير / ١٥و١٦] .
(٣) [٤٢ / الشورى / ٣٢] .
(٤) [٥١ / الذاريات / ٤] .

ويسمى (سكياموتى)أو (جوناما) وكان فى أول أمره يأوى إلى شجرة تين عظيمة وتحتها نزل عليه الوحى . وأرسله الله رسولًا . فجاءه الشيطان ليفتنه هناك فلم ينجح معه . ولهذه الشجرة شهرة كبيرة عند البوذيين ، وتسمى عندهم (التينة المقدسة) وبلغتهم (أجاپالا) .

قال : ففى هذه الآية ذكر الله تعالى أعظم أديان البشر الأربعة الموحاة منه تعالى لهدايتهم ونفعهم فى دينهم ودنياهم . فالقسم فيها كالتمهيد لقوله بعده (لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ) إلى آخر السورة .

قال : ولا يزال أهل الأديان الأربعـــة هم أعظم أمم الأرض وأكثرهم عدداً وأرقاهم . والترتيب فى ذكرها فى الآية ، هو باعتبار درجة صحتها بالنسبة لأصولها الأولى . فبدأ تعالى بالقسم بالبوذية لأنها أقل درجة فى الصحة وأشد الأديان تحريفاً عن أصلها . كما يبدأ الإنسان بالقسم بالشىء الصغير ، ثم يرتقى للتأكيد إلى ما هو أعلى . ثم النصرانية وهى أقل من البوذية تحريفاً . ثم اليهودية وهى أصح من النصرانية ، ثم الإسلامية وهى أصحها جميعاً وأبعدها عن التحريف والتبديل . بل إن أصولها ، الكتاب والسنة العملية المتواترة ، لم يقع فيها تحريف مطلقاً . ومن محاسن هذه الآية الشريفة غير ذلك ، ذكر دينى الفضل (البوذية والمسيحية) أولًا ثم دينى العدل (اليهودية والإسلامية) ثانيا الإشارة إلى الحكمة بتربية الفضل والمسامحة مع الناس أولًا . ثم تربية الشدة والعدل . وكذلك بدأ الإسلام باللين والعفو ثم بالشدة والعقاب . ولا يخفى على الباحثين التشابه العظيم بين بوذا وعيسى ودينيهما . وكذلك التشابه بين موسى ومحمد ودينيهما . فلذا جمع الأولان معاً والآخران كذلك . وقدم البوذية على المسيحية لقدم الأولى . كما قدم الموسوية على المحمدية لهذا السبب بعينه . ومن محاسن الآية أيضا الرمز والإشارة إلى دينى الرحمة بالفاكهة والثمرة ، وإلى دينى العدل بالجبل والبلدة الجبلية (مكة) وهى البـــلد الأمين . ومن التناسب البديع بين ألفاظ الآية أن التين والزيتون ينبتان كثيراً فى أودية الجبال ، كما فى جبل الزيتون بالشام وطور سيناء ، وهما مشهوران بها .

فهذه الآية قسم بأول مهابط الوحى ، وأكرم أماكن التجلّى الإلهىّ على أنبيائه الأربعة ، الذين بقيت شرائعهم للآن ، وأرسلهم الله لهداية الناس الذين خلقهم فى أحسن تقويم . انتهى بحروفه . والله أعلم .

لطيفة :

لم ينصرف (سينين) كما لا ينصرف (سيناء) لأنه جعل اسماً للبقعة أو الأرض . فهو علم أعجمىّ . ولو جعل اسماً للمكان أو المنزل ، أو اسماً لمذكر لانصرف ، لأنك سميت به مذكراً . وقرأ العامة (سيفين) بكسر السين . وقرأ بعض السلف بفتحها . وآخرون (سيناء) بالكسر والفتح ممدوداً . قال السمين : وهذه لغات اختلفت فى هذا الاسم السريانىّ ، على عادة العرب فى تلاعبها بالأسماء الأعجمية . وقوله تعالى :

القول فى تأويل قوله تعالى :

[٤] (لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ)

[٥] (ثُمَّ رَدَدْنَـٰهُ أَسْفَلَ سَـٰفِلِينَ)

[٦] (إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ)

[٧] (فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِٱلدِّينِ)

[٨] (أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَحْكَمِ ٱلْحَـٰكِمِينَ)

« لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ » أى فى أحسن تعديل خلقاً ، وشكلاً ، صورة ومعنى . قال الشهاب : الظرف فى موضع الحال من الإنسان . والتقويم فعل الله ، فهو بمعنى القوام أو المقوم ، أو فيه مضاف مقدر . أى قوام أحسن تقويم ، أو (فى) زائدة والتقدير : قومناه أحسن تقويم .

« ثُمَّ رَدَدْنَـٰهُ أَسْفَلَ سَـٰفِلِينَ » أى جعلناه أسفل من سفل ، وهم أصحاب النار ، لعدم جريانه

على موجب ما خلقناه عليه من الصفات التى لو عمل بمقتضاها لكان فى أعلى عليين ، و (رد) بمعنى جعل التى تنصب مفعولين . قال الشهاب : و(السافلين) العصاة وغيرهم ، وأسفل سافل للمتعدد المتفاوت . و (ثم) للتراخى الزمانىّ أوهو رتبىّ ، وجوز نصب (أسفل) بنزع الخافض صفة لمحذوف . أى إلى مكان أسفل سافلين . أى محل النار . أو النار بمعنى جهنم . وهذا ماقاله مجاهد حيث قال : (فى النار) وفى رواية (إلى النار) والسافلين ، على هذا ، الأمكنة السافلة. وهى دركاتها . وجمعها للعقلاء للفاصلة ، أو للتنزيل منزلة العقلاء . كذا قالوا . ولو أريد بهم أهل النار والدركات ، لأنهم أسفل السفل كالأول ، لكان أولى .

« إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ » أى غير مقطوع أو غير منقوص أو غير محسوب أوغير ممنون به عليهم . والاستثناء متصل من ضمير (رددناه) فإنه فى معنى الجمع ؛ لأن المكنىّ عنه وهو الإنسان ، فى معنى الجنس .

هذا ، وقد اعتمد ابن جرير فى تأويل الآية ، ماروى عن ابن عباس من أن المعنى (ثم رددناه إلى أرذل العمر . وأن من كان يعمل بطاعة الله فى شبيبته كلها ، ثم كبر حتى ذهب عقله ، كتب له مثل عمله الصالح الذى كان يعمل فى شبيبته ، ولم يؤاخذ بشىء مما عمل فى كبره وذهاب عقله ، من أجل أنه مؤمن وكان يطيع الله فى شبيبته) .

وعبارة ابن جرير[1] : وأولى الأقوال فى ذلك عندى بالصحة ، وأشبهها بتأويل الآية ، قول من قال معناه : ثم رددناه أى إلى أرذل العمر ، إلى عمر الخرف الذين ذهبت عقولهم من الهرم والكبر ، فهو فى أسفل من سفل فى إدبار العمر ، وذهاب العقل . (إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ) فى حال صحتهم وشبابهم (فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ) بعد هرمهم ، كهيئة ما كان لهم من ذلك على أعمالهم ، فى حال ما كانوا يعملون وهم أقوياء على العمل .

---

(١) انظر الصفحه رقم ٢٤٥ من الجزء الثلاثين (طبعة الحلبىّ الثانية) .

قال : وإنما قلنا هذا القول أولى بالصواب فى ذلك ، لأن الله تعالى ذكره أخبر عن خلقه ابن آدم وتصريفه فى الأحوال ، احتجاجاً بذلك على منكرى قدرته على البعث بعد الموت . ألا ترى أنه يقول (فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالدِّينِ) يعنى بعد هذه الحجج . ومحال أن يحتج على قوم كانوا منكرين معنى من المعانى بما كانوا له منكرين. وإنما الحجة على كل قوم بما لا يقدرون على دفعه مما يعاينونه ويحسونه، أو يقرون به وإن لم يكونوا له محسين. وإذ كان ذلك كذلك ، وكان القوم ، للنار التى كان الله يتوعدهم بها فى الآخرة منكرين ، وكانوا أهل الهرم والخرف من بعد الشباب والجلد شاهدين ، علم أنه إنما احتج عليهم بما كانوا له معاينين من تصريفه خلقه ونقله إياهم من حال التقويم الحسن ، والشباب والجلد إلى الهرم والضعف وفناء العمر وحدوث الخرف . انتهى كلامه .

وعليه فيكون الاستثناء منقطعاً ، استدراكاً لدفع مايتوهم من أن التساوى فى أرذل العمر يقتضى التساوى فى غيره ، ويكون (الذين) حينئذ مبتدأ ، والفاء داخلة فى خبره . وأما على الوجه الأول ، فالفاء للتفريع ، ومدخولها جملة مترتبة عليه ، ومؤكدة له . وقوله تعالى :

«فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالدِّينِ» خطاب للإنسان على طريق الالتفات، لتشديد التوبيخ والتبكيت ، أى فما يحملك على التكذيب بالدين ، أى الجزاء بعد البعث ، وإنكاره بعد هذه الدلائل . والمعنى: إن خلق الإنسان من نطفة وتقويمه بشرا سوياً، وتحويله من حال إلى حال، كمالاً ونقصاناً، من أوضح الدلائل على قدرة الله عز وجل على البعث والجزاء فأى شىء تضطرك إلى التكذيب به ؟ وجوز أن يكون الخطاب للنبى ﷺ ومعنى (يُكَذِّبُكَ) إما ينسبك إلى الكذب (كفسقته إذا قلت له إنه فاسق) والباء فى (بالدين) بمعنى (فى) أى يكذبك فى إخبارك به . أو سببية أى بسبب إخبارك به وإثباته . أو المعنى ما يجعلك مكذباً بالدين . على أن الباء صلته .وهو من باب الإلهاب والتعريض بالمكذبين، والمعنى إنه لا يكذبك شىء ما بعد هذا البيان بالدين .لا كهؤلاء الذين لا يبالون بآيات الله ولا يرفعون لها رأساً .والاستفهام للإنكار والتعجب .

واستصوب ابن جرير[1] قول من قال (ما) بمعنى (من) أى فمن يكذبك يا محمد بعد الذى جاءك من هذا البيان من الله بالدين .

قال الشهاب : (فما) استفهام ممن يعقل ، وفيه نظر ، لأنه خلاف المعروف ، فلا يرتكب مع صحة بقائها على أصلها ، كما بيناه لك . والداعى لارتكاب هذا ، أن المعنى عليه أظهر إذا كان المخاطب النبىّ ﷺ فإنه إنكار توبيخىّ للمكذبين له ﷺ ، بعد ما ظهر لهم من دلائل صدقه وصحة مدعاه « أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَحْكَمِ ٱلْحَٰكِمِينَ » أى بأحكم من حكم فى أحكامه . قال أبو السعود : أى أليس الذى فعل ما ذكر بأحكم الحاكمين صنعاً وتدبيراً ، حتى يتوهم عدم الإعادة والجزاء ، وحيث استحال عدم كونه أحكم الحاكمين ، تعين الإعادة والجزاء . فالجملة تقرير لما قبلها . وقيل : الحكم بمعنى القضاء ، فهى وعيد للكفار وأنه يحكم عليهم بما يستحقونه من العذاب . و (أحكم) من الحكم أو الحكمة . قيل : والثانى أظهر . وكان النبىّ ﷺ إذا قرأها قال : بلى ، وأنا على ذلك من الشاهدين . أرسله قتادة ، ورفعه أبو هريرة إلى النبىّ ﷺ .

---

(١) انظر الصفحة رقم ٢٤٩ من الجزء الثلاثين (طبعة الحلبىّ الثانية) .